Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقصة خروج الكسائى إلى البادية للأخذ عن الأعراب حيث أنفذ خمسة عشر قنينة حبرا سوى ماحفظ معروفة وتحكى بطرق شتى ، فها هو الكسائى يحكى تجربته الذاتية مع المعرفة ، وكيف أن أداته كانت تقصر به عن بلوغ الحجة فيما يعرض له من مسائل ، فغادر أهله خفيه حتى لايمنعوه عما عزم عليه (٣) .

ومن مظاهر اهتمام القدماء (بالسمع) أن البصريين حين بدا لهم أن الكوفيين قد خرجوا على بعض معاييره ، عيروهم وقالوا لهم « نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوارىز وباعة الكواميخ » (٤) .

ولقد بلغ اهتمام القدماء بالسمع إلى القمة عند ابن مضاء القرطبى الذى استغنى به عن كافة العلل الثوانى والثوالث حيث يقول : « ومما يجب أن يسقط من النحو ، العلل الثوانى والثوالث وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا : قام زيد ، لِمَ رُفع ؟ فيقال لأنه فاعل ، وكل فاعل مرفوع . فيقول ولم رُفع الفاعل ؟ فالصواب أن يقال له : كذا نطقت به العرب . ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر » (٥) . فالسمع عند ابن مضاء اذن ، هو الوسيلة التى تغذى العلل الأوائل بمادة الاستقراء .

هذا ويبدو أن الدافع لاستخدام الكوفيين للسمع ، هو انتقال العربية إلى بيئة تجمع أخلاطا من الناس المختلفين فى لغاتهم وعاداتهم فى الكلام ؛ فمن المسلَّم به أن لكل مجتمع لغوى طرقه فى الكلام التى قد لايشاركه فيها مجتمع لغوى آخر . فهو يستخدم فى تعاملاته الاجتماعية المختلفة ألفاظا وتراكيب معينة ربما ماوُجدت فى مجتمع آخر قط ، فمثلا فى رضائه واعجابه بشخص ما ، قد يستخدم ألفاظا تعتبر

---

(٣) انظر القصة بالتفصيل حكاية عن الكسائى فى مجالس العلماء للزجاجى ٢٠٣ .

(٤) جلال السيوطى : الاقتراح ٣٠٢ .

(٥) ابن مضاء : الرد على النحاه ١٣٠ .